



مركز الميزان لحقوق الإنسان

دراسة حالة: عائلة أبو اسعيد

ضحايا الهجمات الإسرائيلية في المنطقة مقيدة الوصول في انتظار العدالة

المناطق المقيد الوصول إليها في قطاع غزة:

خلال الأربعة عشر عاماً الماضية قلصت إسرائيل تدريجياً من قدرة الفلسطينيين على الوصول إلى أراضيهم في قطاع غزة، بما في ذلك الأراضي الزراعية على امتداد الحدود الشرقية والشمالية على اليابسة وأماكن الصيد على الحدود الغربية في البحر. المناطق المقيد الوصول إليها، والتي يشار إليها أيضاً بالمنطقة العازلة، هي مناطق تفرضها إسرائيل بالقوة العسكرية من خلال التوغلات وإطلاق الذخيرة الحية على السكان والمزارعين والعمال والممتلكات.

قبل بداية الانتفاضة الثانية في عام 2000، أعلن الجيش الإسرائيلي عن فرض منطقة غير محددة "يحظر دخولها"، وبدأ بتسوية الأراضي وتجريفها بالقرب من خط الهدنة للعام 1949 (الخط الأخضر). وبحلول منتصف عام 2006، جرفت القوات الإسرائيلية أراضي ومباني سكنية في قطاع غزة، على مسافة تمتد من 300 إلى 500 متراً من الخط الأخضر في المتوسط. وتم تقليل مساحة منطقة الصيد من 20 ميلاً بحرياً المنقق عليها في اتفاقيات أوسلو لعام 1994 إلى ستة أميال. ومنذ ذلك الوقت، تم تقييد المنطقة المحددة للصيد إلى مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وستة أميال بحرية. وفي يناير 2009، أسقط الجيش الإسرائيلي منشورات تأمر سكان المنطقة بعدم الدخول أو التحرك على مسافة 300 متراً من الخط الأخضر، محذراً من خطر إطلاق النار عليهم. ولكن في الواقع، تم إطلاق النار على فلسطينيين على بعد يصل إلى 1500 متر من السياج الحدودي في بعض المناطق.¹

وقام الجيش الإسرائيلي بتهجير كل العائلات الفلسطينية التي كانت تقطن في المنطقة في نطاق 300 متراً من الحدود، والعديد ممن كانوا يسكنون أبعد من ذلك، حيث هدم كل المباني والمنازل فيها. إن فرض إسرائيل للمناطق المقيد الوصول إليها يمنع عملياً الفلسطينيين من الوصول إلى 35% من الأراضي القابلة للزراعة و17% من المساحة الكلية لقطاع غزة.² وبسبب الحصار الإسرائيلي لقطاع غزة، وما يتبعه من تقييد على دخول المواد الأساسية، فقد بقيت كثير من العائلات في المناطق المقيد الوصول إليها على الرغم من الأخطار المحدقة بحياتهم ورفاههم.

مزرعة عائلة أبو اسعيد:

تعيش عائلة أبو اسعيد وتعمل في شرق قرية جحر الديك في المنطقة الوسطى من قطاع غزة. ويعمل أفراد العائلة في الزراعة والفلاحة، ويملكون 26 دونماً³ من الأرض في داخل المنطقة المقيد الوصول إليها. وتقع المزرعة إلى الشرق من وادي غزة في المنطقة الوسطى لقطاع غزة. تمتد الأرض الزراعية لحوالي 1000 متر إلى الغرب من الحدود الشرقية بين قطاع غزة وإسرائيل. حتى ابريل 2011، كانت عائلة أبو اسعيد تعيش في منزلها المكون من طابقين على بعد حوالي 300 متراً عن السياج الحدودي. وكان



¹ تحت النار: فرض إسرائيل للمناطق المقيد الوصول إليها في قطاع غزة، يناير 2014، المجلس القومي للبحوث، ترجمة غير رسمية عن الإنجليزية من قبل مركز الميزان.

² مركز الميزان لحقوق الانسان، ورقة حقائق: التهجير في المنطقة العازلة، ثلاث سنوات على عملية الرصاص المسبوب، 1 يناير 2012، <http://www.mezan.org/upload/13210.pdf> (تم الوصول إليه في 15 فبراير 2014)

³ مساحة الدوم الواحد تساوي 1000 متراً مربعاً.

ناصر أبو اسعيد وزوجته وأطفاله الخمسة يعيشون في الطابق العلوي، بينما والد ناصر، جابر أبو اسعيد كان يسكن في الطابق الأرضي من المنزل مع زوجته سعدة وابنته أميرة. وإلى الشرق من منزل ناصر يقع منزل أخيه محمد، الذي يعيش مع زوجته سناء وطفليهما. وإلى الغرب من منزل العائلة توجد عريشه مسقوفة مغطاة بالبلاستيك، اعتاد أفراد العائلة الجلوس تحتها في ساعات المساء.

الاعتداءات على منزل عائلة أبو اسعيد: هاجمت قوات الاحتلال الإسرائيلية عائلة أبو اسعيد مرتين وتسببت بعواقب مميتة: الاعتداء الأول (يوليو/تموز 2010)

وقع الهجوم الأول يوم الثلاثاء 13 يوليو 2010 عند حوالي الساعة 8:45 مساءً. كانت العائلة تشاهد التلفاز عندما أطلق الجيش الإسرائيلي النار على بعد 40 متراً إلى الجنوب الغربي من المنزل⁴، فأصيب فردان من العائلة⁵. وأسرع أفراد العائلة بالدخول للمنزل مع المصابين واتصلوا بسيارة إسعاف. منعت السلطات الإسرائيلية سيارة الإسعاف من الوصول إلى الموقع لمدة ساعة ونصف⁶. وبعد مدة قصيرة سقطت قذيفة ثانية شمال المنزل وتبعها إطلاق رصاص حي وقنابل ضوئية.



صورة لمنزل عائلة ابو السعيد بعد الحادث الثاني في 28 ابريل 2010 (مركز الميزان)

استمر إطلاق النار والقصف لبعض الوقت، وفي هذا الوقت خرجت زوجة ناصر، نعمة يوسف أبو السعيد، من المنزل للبحث عن ابنها جابر الذي لم يكن بالداخل عندما وقع الهجوم الأول فأصيبت نعمة بقذيفة إسرائيلية وماتت على الفور، وأصيب الطفل جابر أبو اسعيد بشظية في الفخذ الأيمن .

يعاني الأطفال باستمرار بسبب الصدمة التي اختبروها من هذا الهجوم، وخاصةً عندما شهدوا موت والدتهم. ويصارع الأطفال في دراستهم وفي الحياة الاجتماعية في المدرسة، ويتلقى أطفال ناصر الآن رعاية نفسية من مؤسسة أطباء بلا حدود⁷. ونتيجة للهجوم، دمرت شقة ناصر في الطابق العلوي مع مقدمة المنزل بالكامل.

الهجوم الثاني (أبريل 2011)

اجتمعت عائلة أبو سعيد كعادتها في منزلهم في ساعات المساء من يوم الخميس 28 أبريل 2011، وكان الوضع هادئاً ولم تكن هناك أي نشاطات عسكرية أو اشتباكات في المنطقة⁸.

عند حوالي الساعة 9:00 صباحاً، انفجرت على الأقل خمس قذائف في المنزل على نحو مفاجئ. فأصيبت ميساء وبهاء، أطفال ناصر، بكدمات نتيجة سقوط الحطام عليهم، وتم سحبهم من تحت الأنقاض بعد مدة قصيرة من الهجوم. أما علاء، ابنه الثاني، فأصيب بشظايا في البطن والرقبة، وأصيبت زوجة أخ ناصر، سناء، بجراح في القدم اليسرى، وأخوه محمد بجروح فوق عينه اليمنى. وتدمرت شقة ناصر وعائلته في الطابق العلوي من المنزل بالكامل ولحقت بالشقة في الطابق الأرضي أضرار متوسطة⁹.

شهادة أسمهان: زوجة ناصر الثانية تصف الهجوم:

⁴ وفقاً لقاعدة بيانات مكتب أمن المؤسسات الأهلية في قطاع غزة (غانزو)، كان هناك إطلاق لقذيفة هاون في المحافظة، غير أن مكان ووقت الإطلاق غير متوفر.

⁵ سناء وأميرة .

⁶ قبل دخول المنطقة الحدودية، أي المنطقة التي تبعد كيلومتر عن الخط الحدودي، تفرض السلطات الإسرائيلية على سيارات الإسعاف الفلسطينية أن تحصل على تنسيق عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

⁷ المجلس النرويجي للاجئين، مقابلة مع ناصر أبو اسعيد بتاريخ 10 نوفمبر 2013، النص مترجم عن الإنجليزية ترجمة غير رسمية من قبل مركز الميزان.

⁸ وفقاً لقاعدة بيانات مكتب أمن المؤسسات الأهلية في قطاع غزة (غانزو)، لم تكن هناك أي أنشطة عسكرية من الجانب الفلسطيني في هذا التاريخ.

⁹ صورة لمنزل عائلة أبو اسعيد بعد الهجوم الثاني، تصوير مركز الميزان لحقوق الإنسان.

"فجأة سمعت صوت انفجارا هائلا وشعرت بأن المكان الذي كنا فيه يهتز. رأيت غبارا كثيفا يتصاعد من جنوب العريشة ويمأ المكان. انطفأت الأنوار وانطفأ التلفاز ومن ثم سمعت انفجارا آخر فأخرجت الأطفال وذهبتنا إلى وسط العريشة، القريبة من نافذة غرفة المعيشة في الطابق السفلي. ومن ثم سمعت انفجارا آخر. وسمعت سناء، زوجة أخ ناصر، تصرخ: أنا مصابة ولا أستطيع المشي وكانت تزحف على الأرض. كنت أمسك بهاتفني النقال واستعمل إضاءةه فرأيت دما على قدم سناء، وكنت أسمع صراخ الجميع.

كنت أمسك علاء وسعد، وكان سعد متشبثا بي ولم يكن يتحرك من شدة خوفه. سمعت زوجي يتحدث على الهاتف ويقول: لقد تم قصفنا، لقد تم قصفنا. ناديته وأخبرته أن سناء أصيبت. قال لي: أصبري عشرة دقائق وستصل سيارة الإسعاف. وأخبرني أيضا أن ميساء جرحت. ومن ثم سمعت انفجار آخر وسمعت صوت محمد أخو زوجي يصرخ "أنا أصبت". كان صوته قريب من المنزل. بقينا في مكاننا، وطلب منا عمي وزوجي أن لا نذهب للخارج ونبقى في أماكننا. سلمني زوجي هاتفه النقال من خلال النافذة لأضيء به الغرفة. ومن ثم استلمت مكالمة هاتفية على هاتف زوجي فأجبت، وتحدثت معي رجل.



أخبرني الرجل بأن لا يغادر أحد منا المنزل حتى وصول سيارة الإسعاف. بقينا هناك وبعد ساعة تقريبا رأيت سيارتي إسعاف تقتربان من المنزل. ولاحظت أن علاء لم يكن يتحرك فسألته: "هل أنت بخير؟" أجابني: "أنا خائف. ذهبت لسيارتي الإسعاف ورأيت المسعفين ينقلون أخ زوجي، محمد، عن الأرض على بعد حوالي 100 مترا إلى الشرق من منزلنا. أمسكت بجابر وعلاء الذي كان لا يزال متشبثا بي ومشينا إلى سيارة الإسعاف. شعرت بأنه يتحرك ببطء. وصلنا إلى سيارة الإسعاف ومن ثم رأيت دما على بطن علاء فأدركت أنه كان مصابا. أخبرت المسعفين عن ذلك وأخبرتهم أيضا عن سناء فنقلوها إلى سيارة الإسعاف وغادرنا جميعنا المنزل وذهبتنا

بسيارات الإسعاف. اتجهت سيارات الإسعاف إلى منزل أخ زوجي ناهض وتوقفت هناك. عمي جابر وعمتي والأطفال وأنا خرجنا من سيارة الإسعاف وذهبتنا إلى منزل ناهض، وغادرت سيارة الإسعاف في طريقها إلى المستشفى.¹⁰

هذا وقد أخرجت السلطات الإسرائيلية منح تصريح لسيارات الإسعاف الفلسطينية بعد الهجومين الأول والثاني على منزل عائلة أبو اسعيد. تولى المسعف محمد أبو عمرة عملية الإخلاء، وانتظر طويلا بالقرب من المنزل الذي كان أفراد العائلة المصابين فيه، حسب ما أفاد لمركز الميزان:

"أخبرني ضابط الإشارة أنه كان قد تلقى مكالمة هاتفية أبلغ فيها أنه يوجد جرحى شرق بلدة جحر الديك (وادي غزة). لم تكن لديه أي تفاصيل أخرى. ذهبت إلى سيارة الإسعاف مع عبد الكريم أبو عمرة، الذي قاد سيارة الإسعاف بنا إلى المنطقة لفحص الأمر. كنا جاهزين للتعامل مع أي طارئ. بقيت على اتصال مع موظف الإشارة وتوقفنا عند منطقة قرب منزل عائلة أبو اسعيد. كنا على بعد أكثر من كيلومتر عن السياج الحدودي¹¹. رأيت حشدا من الناس وأخبروني أنه تم قصف منزل عائلة أبو اسعيد بالقذائف وأن هناك جرحى. أعرف هذا المنزل جيدا لأنه منذ أقل من سنة كنت هنا مع زملائي بعد أن تم قصفه، حيث أخلينا السكان ومن ضمنهم إصابتين خطيرتين وشخص متوفى في ذلك الحادث. ويقع المنزل على بعد حوالي 250 متراً عن السياج الحدودي.

بقيت أينما كنت ولم أدخل المنزل، لأن المسؤولين عنا لا يسمحوا لنا بدخول أي منطقة تبعد أقل من كيلومتر واحد عن الخط الحدودي دون تنسيق من خلال اللجنة الدولية للصليب الأحمر. أطلعت موظف الإشارة على ما حصل، وطلبت منه أن ينسق مع الصليب الأحمر لنتمكن من الوصول للجرحى، ووصلت سيارة إسعاف أخرى لدعونا. كان زميلي ناصر البجيصي يقود السيارة وكان معه حاتم عواد. وفي العادة عندما نذهب إلى مناطق قريبة من الخط الحدودي نذهب بسيارة إسعاف تكون مدعومة بسيارة إسعاف ثانية في حال كان هناك حالات طوارئ إضافية. تلقيت مكالمة هاتفية من شخص يعمل في الصليب الأحمر وأخبرته عن مكاننا، وبعد حوالي 40 دقيقة تلقيت مكالمة أخرى من شخص من الصليب الأحمر أخبرني فيها أنه تم إجراء التنسيق مع السلطات الإسرائيلية وأنه بإمكاننا الدخول للمنطقة.

¹⁰ جزء من إفادة أسهمان أبو مراحيل، زوجة ناصر، التي أفادت بما لمركز الميزان لحقوق الإنسان بتاريخ 3 مايو 2011.

¹¹ كلمة "الخط الحدودي" تعني الحدود بين قطاع غزة وإسرائيل.

تأكدنا من أن الأضواء الداخلية والخارجية كانت مضاءة، وكذلك أضواء لوحة السيارة ومن ثم تلقيت الضوء الأخضر من ضابط الإشارة بدخول المنطقة. طلبت من سيارة الإسعاف الثانية بأن تدخل المنطقة لتقوم سيارتنا بدعمها من الخلف. قاد زملائي السيارة في طريق ترابي كان في نهايته المنزل والأشخاص المصابين. قدت سيارتنا خلفهم حتى وصلنا إلى منزل عائلة أبو اسعيد، وبقيت على اتصال مع الصليب الأحمر. ثم رأيت أحد أفراد العائلة في مقدمة المنزل وكان يلوح لنا بيديه فأخبرت موظف الصليب الأحمر بأننا وصلنا إلى الموقع، وأوقفنا السيارة على بعد 100 متراً إلى الشمال من المنزل.

رأيت رجلاً وهو يقوم بتوجيه زميلي حاتم إلى مكان أحد المصابين بالقرب من المنزل، ثم خرجنا أنا وزميلي عبد الكريم من السيارة، ورأيت بعض النساء يخرجن من المنزل، وكُنَّ يساعدن امرأة أخرى في الثلاثينيات من عمرها، وكانت تسير على قدم واحدة، والقدم الأخرى مرفوعة عن الأرض ومغطاة بالدم. ساعدناها أنا وعبد الكريم حتى وصلت سيارة الإسعاف.¹²



خيام عائلة أبو اسعيد، تصوير طاقم مركز الميزان لحقوق الإنسان

عائلة أبو اسعيد الآن:

بعد تعرض منزل عائلة أبو اسعيد لعملية قصف عنيفتين، والتدمير الكامل لشقة ناصر، انتقل ناصر وزوجته أسهمان وأطفالهما إلى خيمتين قدمتهما لهم اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى حين أن يتم إيجاد حل بديل لهم. نصب ناصر الخيام في أرضه على بعد 300 متراً من منزله وحوالي 800 متراً من السياج الحدودي. و تعاني العائلة الآن من قيط الصيف ومن البرد القارس في الشتاء. غرقت الخيمة عدة مرات خلال هذا العام بسبب الأمطار الشديدة، ويصاب الأطفال بالمرض باستمرار بسبب الظروف المعيشية الصعبة. اعتقد ناصر أن الخيام ستكون حلاً على المدى القصير، غير أن أسرة ناصر انتقلت للسكن فيها منذ حوالي ثلاث سنوات، وبقيت الخيام منزلهم حتى اليوم.¹³ بعد كل هجوم إسرائيلي تقدمت عائلة أبو اسعيد بطلب لمكتب المدعي العام العسكري الإسرائيلي ليفتح تحقيقاً جنائياً في سلوك القوات الإسرائيلية والخسائر التي لحقت بأرواحهم وممتلكاتهم نتيجة للهجمات. ولا تزال نتيجة التحقيق في الحادث الذي وقع عام 2010 قيد الانتظار، في حين صرح النائب العسكري العام لمحاميهم من مركز الميزان أن صعوبات تقنية كانت السبب في الحادث الذي وقع عام 2011، وقام بإغلاق هذا الملف بسرعة ومن دون بدء تحقيق جنائي. وقررت عائلة أبو اسعيد أن ترفع دعوى قضائية تطالب فيها دولة إسرائيل بتعويضها عن الخسائر التي نجمت عن الاعتداءات غير القانونية ضدهم قبل مرور سنتين من تاريخ الاعتداء الأول وذلك بمساعدة مركز الميزان. ولا يزال ناصر يأمل أن تساعد هذه الإجراءات في تحسين الظروف المعيشية وإن تحقق العدالة التي طال انتظارها لعائلته. وبتاريخ 11 يونيو 2012 بدأت عائلة أبو اسعيد الإجراءات القانونية أمام المحكمة الإسرائيلية في بئر السبع، طالبت فيها بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بالعائلة نتيجة للهجوم الأول في 2010. وحتى اليوم لم تقم المحكمة بسماع الأدلة أو الشهود في القضية. ومن المقرر عقد جلسة أولية في مارس 2014.

¹² مقابلة مع المسعف الذي يعمل في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني أدلى بها محامي مركز الميزان لحقوق الإنسان بتاريخ 24 مايو 2011.

¹³ مقابلة مع ناصر أبو اسعيد أجراها المجلس الترويجي للاجئين بتاريخ 10 نوفمبر 2013.